



"شيعية فوبيا" وتصريحات القرضاوي

التقييم : ممتاز

2008/9/26

ربما لم تكن إيران تتوقع أن تصدر تصريحات كتلك التي جاءت في صحيفة "المصري اليوم" على لسان الرمز الإسلامي العلامة الدكتور يوسف القرضاوي. فالتركيز الإيراني كان دائما على أن الخطاب الناقد للشيعية إنما يأتي ممن تسميهم بـ"الوهابية السلفية"، وطوال حوالي ثلاثة عقود لم يكن هناك انتقادات حادة لإيران أو للشيعية من قيادات فكرية وشخصيات إسلامية قريبة من الحركات الإسلامية في العالم العربي، بل على العكس كانت هناك "خشية رسمية" عربية بأن تكون تلك القبايات الإسلامية السننية منبهة بالتجربة الإيرانية باعتبار أنها أول نجاح للإسلام السياسي، في الوصول إلى السلطة.

السياق الذي جاءت فيه تصريحات الشيخ القرضاوي بالغ الأهمية، فالحديث عن تزايد النفوذ الإيراني في العراق الذي بدأ في عام 2005، والعلاقة الوطيدة مع حزب الله وهما الأمران اللذان يفسران بشكل كبير من وجهة نظر مذهبية، بأن إيران تسعى إلى تقوية النخبة السياسية الشيعية هناك. التلقي الأولي لكل ذلك كان من دوائر السلطة، ولا سيما من السعودية والأردن ومصر، وقد كان هذا التفسير متأثرا كثيرا بالقرءة الأمنية السياسية والقلق من ذلك النفوذ.

خلال تلك الفترة كانت إيران تنظر إلى تلك التصريحات بأنها جزء من الإستراتيجية الأميركية لتحميل الآخرين - والإشارة هنا إلى إيران- أخطاءها في العراق، وأن انتقاد دول الجوار العراقي للسياسات الإيرانية إنما يأتي لتفصيرها (الدول العربية) في التعاون والاعتراف بالنظام العراقي الجديد.

من هنا وبشكل مختصر، فالجدل كان يذهب الى منحى سياسي بعيد عن الدين أو المذهب، وكانت إيران في هذا السياق تبرز من تعاونها مع قوى سياسية مثل حماس ودعمها للقضية الفلسطينية باعتبار أن المسألة ليست مذهبية على الإطلاق. إن التركيز على هذا التعاون مهم إيرانيا لأنه يزيد من قاعدة الموالاة لإيران في المنطقة ويعزز من صورتها كدولة مناهضة للسياسات الأميركية والإسرائيلية فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية، كما أنه يمكن أن يحل -ولو نظريا- بدل أي قوى معارضة داخل المشهد السياسي الإيراني.

السياق الآخر وهو الانتقاد الشديد الذي وجهه تنظيم القاعدة لإيران في سياق تذكركم لأحداث أيلول 2001 والتي عبر فيها الرجل الثاني في القاعدة أيمن الطواهري عن سلبية الدور الإيراني ولا سيما دور المرجعية في "عدم استنهاض الهمم والدعوة لمحاربة الأميركيين". هذا الانتقاد كان يؤخذ برمته باعتباره تكملة للموقف الوهابي السلفي من الشيعة ومن إيران، وهو بالنسبة إلى إيران لا يبدو مؤثرا بشكل على الرأي العام العربي.

في ظل هذين التطورين تبدو تصريحات العلامة القرضاوي بالغة الأهمية، فهي من جانب تضع النظام الرسمي مع تنظيم القاعدة مع الإسلام الحركي الوسطي جنباً إلى جنب في موقفهم من النفوذ الإيراني والتبشير الشيعي. وهذا تطور ربما لم يكن متوقفا يوما من أحد، وموقف لا يبدو انه سيمر بلا تبعات جوهرية على إيران وحلفائها من الشيعة في منطقة ملتبهة أصلا.

إيرانيا لا يبدو الأمر مفرحا، فتسرب تلك الأنباء إلى الداخل الإيراني، وتحديدًا موضوع -الحديث عن البدع لدى الشيعة- لن يخدم النظام السياسي الذي يظهر بمظهر النظام ذي القاعدة العريضة من المؤيدين والأصدقاء خارج الحدود، وانه لذلك ينفق على ذلك لاستمرار حماية المصالح الإيرانية ببعديها القومي والمذهبي.

الآن وقد تعالت الأصوات الناقدة، فلن يكون مستبعدا أن تتعالى بعض الأصوات من خلفيات مختلفة متسائلة عن جدوى الحديث عن التقريب بين المذاهب، وكذلك التعامل مع الحركات الإسلامية السننية... الخ. وربما يكون هذا القلق هو الذي دفع بعض وسائل الإعلام الإيرانية للحديث عن توضيح قدمه العلامة القرضاوي بشأن تلك التصريحات، وتشير وسائل الإعلام تلك إلى أن الشيخ تحدث عن عدم الدقة في اخذ تصريحاته وأنها أخذت خارج السياق، وهو الأمر الذي لم أجد ما يؤكد في الإعلام العربي، أو على الأقل على موقع الشيخ القرضاوي على شبكة الانترنت.

الاستراتيجية الإيرانية الساعية إلى إفشال أي محاولة لتشكيل جبهات متحدة ضدها لا تنجح بالمستوى الذي تريده إيران، فإذا ما كانت قد نجحت- على الأقل حتى الآن- على إبقاء المجموعة 1+5 غير موحدة، وبلا موقف بالكامل فيما يتعلق بملفها النووي، إلا أنها فيما يتعلق بجوارها السني لم تنجح -كما كانت تتوقع-.

فالتحالف الذي كان ربما من المستحيل التنبؤ بحدوثه - بين النظام الرسمي العربي وبين الإسلام الحركي الوسطي وفكر القاعدة- أخذ بالتشكل بالفعل، والأهم ربما التعاطف الذي يتنامى بين النخب المنقفة مع موقف الأطراف سابقة الذكر من إيران والشيعة، ومن هنا فإن النجاح والتأييد مع تصريحات القرضاوي يعكسان حالة الشك والريبة التي يمكن أن نطلق عليها "شيعية فوبيا" أو "إيران فوبيا".

mahjoob.zweiri@alghad.jo

محجوب الزويري